**المحاضرة السادسة**

**3 ــ فصيلة الألسن الطورانية :**

تضم هذه الفصيلة مجموعة من اللغات لا يمكن إلحاقها بالفصيلتين السابقتين ، و أبرزها اللغة الصينية التي ينطق بها أكثر من مليار ناطق ، و اليابانية ، و التركية ، و المغولية . ومن يقرن خصائص هذه اللغات بعضها ببعض يدرك أنه ليس بينها ما يجمعها في إطار واحد أو ما يسوغ تسميتها باسم واحد ، و أهم سماتها :

1 ــ الناطقون بها أكثر من الناطقين بالفصيلة السامية الحامية و أقل من الناطقين بالفصيلة الهندية الأوربية .

2 ــ ليس بين الشعوب الناطقة بها جامعة من نسب أو عقيدة أو حضارة .

3 ــ ليس بين عناصرها اللغوية من أصوات و مفردات و تراكيب تشابه يسوغ جعلها فصيلة واحدة. أي : أن اللغات التي تنتمي إليها تفتقر إلى مقومات الوحدة ، فالتسمية شكلية لا علمية .

وخلاصة القول في نظرية القرابة أنها قدمت للباحثين تصنيفاً تقريبياً يستعينون به على دراسة اللغات وتقسيمها إلى فئات . و لكنها لم تُقِم هذا التصنيف على أساس علمي مستمد من عناصر اللغات : أصواتها ، و ألفاظها ، و تراكيبها ، و أساليبها . و إذا كانت قد أصابت حظاً من النجاح فنجاحها يعود إلى دقتها في دراسة فصيلة و احدة أو شعبة واحدة من فصيلة واحدة ، هي شعبة اللغات السامية . و هذه الدقة لا تدل على مقدرة الباحث فحسب ، بل تدل كذلك على ما في اللغات السامية من ترابط ، و ما في العربية من خصائص و ضعت بين يدي مولر و أمثاله من الباحثين عناصر الدراسة جاهزة فوفق في دراستها ، و لم يوفق في دراسة الفصيلتين الأخريين .

**2 ــ نظرية التطور ( نظرية شليغل ) :**

حاول شليغل أن يصنف لغات البشر ، أن يستدرك ما فات مولر من أسس راسخة ينهض عليها التقسيم ، و أن يستمد مبادئه من عناصر اللغات . و لهذا أقام نظريته على أساسين : أحدهما علمي يستنبط من طبيعة اللغة ، و الآخر تاريخي يتألف من الزمن الذي ظهرت فيه اللغة ، و المراحل التي شهدت تطورها من طفولتها إلى شبابها و نضجها .

أما الأساس الأول فجوهره تحليل اللغة أصواتاً و ألفاظاً و جملاً و صرفاً و نحواً لمعرفة العلاقة بين المبنى و المعنى . و أما الثاني فغايته أن يحث الباحث على مقارنة اللغات المتباينة في الخصائص ، ليعرف أيها السابقة و أيها اللاحقة . و الاعتماد على هذين الأساسين أفضى بشليغل إلى التصنيف الثلاثي الآتي :

**أ ــ اللغات المتصرفة أو التحليلية :**

وهي اللغات التي تتميز ألفاظها بأنها متصرفة ، تتغير أبنيتها تغيراً اشتقاقياً ، فيتولد بعضها من بعض ، و تتغير معانيها بتغير أوزانها و صيغها . فمن ( العلم ) نشتق : علمَ ، و يعلمُ ، و تعلَّم ، و استعلم ... و غيرها من الأفعال ، و العالم و المعلوم و المتعلم ... و غيرها من الأسماء ، و لكل منها صيغة و دلالة . و أبرز اللغات المتصرفة اللغات السامية و أكثر الساميات و أكثر الساميات تصرفاً العربية . و من هذه اللغات الفارسية ، و الهندية ، و اللاتينية ، و الإغريقية .

**ب ــ اللغات اللصقية أو الوصلية :**

تتسم هذه اللغات بأن ألفاظها تبنى بناء لصقياً ، أي : بإضافة مقطع إلى أول الكلمة ، و يسمى هذا المقطع سابقة ، أو مقطع إلى نهايتها ، و يسمى هذا المقطع لاحقة . و بهذه السوابق و اللواحق تغنى اللغات ، و تزداد مفرداتها ، و تتغير معانيها . ومن اللغات المنتمية إلى هذه الفصيلة : التركية و المغولية و اليابانية .

**ت ــ اللغات العازلة :**

تتألف الألفاظ في هذه اللغات من كلمات تلزم كل منها صورة ثابتة لا تتغير ، و تحمل دلالة واحدة لا تتبدل . و هذه اللغات تفتقر إلى الأدوات الرابطة التي تصل أجزاء الجملة بعضها ببعض ، و تعتمد في تحديد المعاني ، وفي ربط الكلام على ترتيب المفردات في الجملة الواحدة أو على السياق العام . و من اللغات الآخذة بهذا الأسلوب اللغة الصينية .

و إذا أردت أن ترتب هذه الفصائل الثلاث ترتيباً زمنياً فقل : أقدمها ظهوراً اللغات العازلة ثم اللغات اللصقية ، وفي نهاية المطاف ظهرت اللغات المتصرفة ، وهي و إن كانت الأخيرة في الظهور ، تعد الأولى في النماء و الارتقاء .

ومع أن نظرية شليغل حاولت أن تصنف اللغات تصنيفاً علمياً مستمداً من خصائص اللغات ، فإنها لم تبرأ من الهنات ، ولم تنج من النقد، إذ أخذ عليها النقاد عدة مآخذ أبرزها مأخذان:

أولهما أنها لم تتوصل في التصنيف إلى مقياس دقيق، إذ تجد العزل واللصق والتصريف سمات عامة في سائر اللغات، غير أن بعضها يرجح سمة على أخرى. فالعربية ، على سبيل المثال ، لغة متصرفة لكنها لا تخلو من الإِلصاق كصياغة أكرم من كرم بإضافة الهمزة. ولا تخلو من العزل ، نحو ضرب أخي صديقي لاختفاء حركتي الإعراب، وتمييز الفاعل من المفعول بالاعتماد على الترتيب.

وثانيهما أن الترتيب الزمني افتراض تخميني ، لا حقيقة يقينية. فربما كانت إحدى اللغات المتصرفة أسبق ظهوراً من بضع لغات عازلة أو لصقية .

وخلاصة القول في نظريتي مولر وشليغل أن اللغة ظاهرة إنسانية معقدة، وتعدد اللغات زاد في تعقيد السمات، ولهذا عجزت النظريتان كلتاهما عن الوصول إلى تصنيف علمي دقيق ، تسلك فيه اللغات الإنسانية كلها ، غير أننا – ونحن نقرُّ بما أخذ على النظريتين ــ نتقبل تصنيف مولر، ونجعله منطلقاً إلى دراسة الفصيلة السامية ، ثم إلى دراسة لغتنا العربية ضمن هذه الفصيلة.